

من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ العلَّامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي حفظه الله





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

ولا زال الخير متصلًا-إن شاء ٱلله-في هٰذا الملتقىٰ ٱلذي هو بعنوان: (حقوق المصطفىٰ ﷺ، ونحن في هٰذه الليلة مع محاضرة لشيخنا الفاضل فضيلة الشيخ زيد بن محمد هادي المدخلي-جزاه الله خيرًا-، وهي بعنوان: (من أخلاق النبي ﷺ)، فليتفضل-جزاه الله خيرًا-[1].

[1] مقدِّم المحاضرة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله السميع العليم، وصلىٰ الله وبارك علىٰ عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلىٰ يومنا هٰذا وإلىٰ يوم الدين.

أمَّا بعد:

فالموضوع -كما سمعنا- من أخلاق الرسول الكريم ﷺ، وهٰذا الموضوع لا يستطيع أن يوفِّيه حقَّه متحدث؛ ولكن لا بد من المذاكرة فيه والأخذ منه بنصيب، لأنَّه يجر إلىٰ التأسي بالنبي الكريم ﷺ صاحب الخلق العظيم، وهو أسوة الأمَّة لقول الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...(٢١) ﴾ [الأحزاب: ٢١] الآية.

وبين يدي الموضوع الذي هو: (من أخلاق رسول الله ﷺ) يَحسُن أن نعرف شيئًا علىٰ ما كان عليه الناس قبل بعثة النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، ونعرف مدى الحاجة إلىٰ بعثة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، حاجة الثقلين -الجن والإنس-، والإنس -العرب والعجم، والقاصي والداني- إلىٰ يوم القيامة كلُّهم في أمسِّ الحاجة إلىٰ تلك البعثة الميمونة والرسالة العظيمة التي عمَّ خيرها جُلَّ أقطار الدنيا.



نعم لقد كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ في جهل وضلال، حيث قد اندرس العلم لبعد النبوات، ولم يبقَ علىٰ وجه الأرض إلا بقايا من أهل الكتاب عندهم شيء من العلم، وبقية الأمَّة-العرب والعجم-يعيشون في ضلال حتىٰ بعث الله نبيه محمدًا ﷺ عندما فشا الجهل وتلاعبت الشياطين بعقول عا لم الإنس والجن وانحرفت بهم عن الفطرة السليمة، بسبب اندراس العلم وفشو الجهل.

وأي زمن يفشو فيه الجهل ويقل العلم أو يتلاشىٰ فذٰلك هو الخسران المبين، وسبب في شقاء الأمة وسوء مصيرها حتىٰ يُدركها الله-تبارك وتعالىٰ-بنبي مرسَل أو بوارث من ورثة المرسلين مِمَّن يُطلق عليهم مجددين لِمَا اندرس من معا لم الدين الإسلامي، فيدعو بدعوة الرسل فتستنير البشرية بدعوته بميراث النبوة، وهو ما أنزله الله-تبارك وتعالىٰ-من كتاب وسنَّة علىٰ نبي مرسَل يُبلغه من أخذ نصيبه من هٰذا الميراث الذي نوه الله بذكره وأثنىٰ عليه وعلىٰ حملته بقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر:٣٢].

كان حال الناس كما ذكرت، وكما جاء في وثائق التأريخ الصحيح، وكان من جملة من ليس عندهم علم من الشرف محمد ﷺ؛ ولكن له من الخصائص وله



من المزايا قبل أن يوحىٰ إليه قلَّ أن تتوفر في غيره، وما ذلك إلا تهيئة وإعداد من الرَّبِّ الرحيم ليكون لهٰذا الرسول شأن عظيم وكان.

كان قبل بعثته معروفًا بالصدق والأمانة وبالعزوف عن اللهو والغفلة؛ ولكن كما قال الله، لا يدري ما العلم ولا الإيمان[٢]، وكان يخلو في غار حراء الجبل المعروف في مكة-حرسها الله-، يتعبّد عبادة خاصَّة ليست مبنية علىٰ شرع، وإنما هي تأملات وكأنه ينتظر شيئًا حتىٰ جاءه الملَك علىٰ رأس الأربعين من عمره.

وهو في غار حراء نزل عليه جبريل-عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-شريف الملائكة، والأمين علىٰ الوحي، والواسطة بين الله وبين الرسل، نزل عليه ومعه صدر سورة اقرأ، فغطَّ النبيَّ ﷺ غطَّة حتىٰ بلغ منه الجهد كما قال ﷺ حاكيًا القصة[٣]، قال: (...فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ...) يعني: لست قارئًا، ليس ممتنع؛ ولكنه يخبر بواقِعِه.

---

[٢] يشير الشيخ-حفظه الله-إلى قول الله-تبارك وتعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى:٥٢].

[٣] صحيح البخاري/ ٤٩٥٣



ثمَّ غطَّه الثانية (...فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ،...)، والثالثة كذٰلك ثمَّ أطلقه وقال له: (...﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾[العلق: ١-٥]...)، وكفىٰ إلىٰ هنا، ثم تركه.

فتأثَّر النبي ﷺ تأثرًا شديدًا، فرجع إلىٰ أهله في مكة وقال: (زملوني) دثروني أي: بالثياب لشدَّة ما يجد من غطَّة الملَك، فلمَّا دثروه بالثياب وخفَّ عنه التأثُّر قال: (...لَقَدْ خَشِيتُ...) يقول لخديجة-رضي الله عنها-زوجته: (...لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)، فقالت له: (...فَوَ اللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ...).

هٰذه في الجاهلية، وهي من الخصال الحميدة التي جاء الإسلام وأكدَّها ورغَّب فيها وجعلها من خصائص الصالحين، فتح الله علىٰ قلبها هٰذا الفقه العظيم، والرسول يعرف من نفسه بأنَّه موصوف بهٰذه الصفات، فهو صادق في حديثه، وصادق في مواعيده، شهد له بذٰلك الموالي والمعادي، وشهد له أشدُّ الكفار خصومة له وعداءً له-أبو جهل-وأمثاله قال: (...وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لِصَادِقٌ...)، أبو جهل فرعون هٰذه الأمة قال: (...وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لِصَادِقٌ، وَمَا



كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ [ولكن لا نتبعه ولا نؤمن بما جاء به]...)[٤] ومات علىٰ هٰذا الكفر الشنيع الذي ليس له من جزاء عند الله إلا النار وبئس القرار.

وإنه ليصل الرحم-وَصُولٌ-، ويحمل الكَلَّ، يواسي من كان فقيرًا وصاحب عيال وذا حاجة، ويعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر ويعين علىٰ نوائب الحق، وهٰذه من الخصائص والمزايا التي كان يوصف بها النبي ﷺ قبل النبوة.

ثمَّ بعد هٰذه الآيات المباركات التي نبِّئ بها النبي ﷺ فَتَرَ الوحي- لم يأته الملك بشيء مدة من الزمن، فكان النبي ﷺ ينتظر لهٰذا الشرف.

خديجة أرادت أن يعلم النبي ﷺ بأنَّ هٰذا شرف له، وله الآثار الحميدة في مستقبل الزمان، فذهبت به إلىٰ ورقة بن نوفل-ابن عم خديجة-وكان امرءًا قد تنصر قرأ الكتاب، ويكتب بالعربية، فقالت له: (...اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ...)، قال: (...يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟...) فأخبره بالقصة، فقال: (...هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا [ليتني يدركني يومك عندما يخرجك قومك لأنصرنك نصرا مؤزرا]...)، قال: (...أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟، قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ...)[٥]، إلَّا أخرجه قومه.

---

[٤] تفسير ابن كثير/ الأنعام: ٣٣

[٥] سبق تخريجه



وبالفعل هو هٰذا الذي حصل، أخرجوه من مكة بعد محاولة لقتله وحبسه فصار نصيبه الخروج، وبعد ذٰلك أنزل الله سورة -صدر المدثر-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١﴾[المدثر:١] أي: المتغطي بثيابه، لأنَّه قال لخديجة: (...زمِّلوني...)، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧﴾[المدثر:١-٧].

فأمره الله -تبارك وتعالىٰ- أولًا بالنبوة بصدر سورة اقرأ، وأرسله بصدر سورة المدثر، وأمره بهٰذه الأوامر التي فيها تزكية للنفس وتطهير للقلوب له ولغيره، ومنها: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤﴾[المدثر:١-٤].

والمعنىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ٢﴾ أي: أنذر الناس عقوبة الله إن لم يؤمنوا بما جئت به، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾ أي: عظِّم الله -تبارك وتعالىٰ- وادعُ الأمَّة إلىٰ تعظيمه، فهو المستحق للتعظيم بعبادته وحده دون سواه، ونبذ ما يعبد من دونه من الأصنام والأوثان التي كانت في الجاهلية.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤﴾ تحتمل المعنيين: الطهارة الحسِّية والطهارة المعنوية، أي: طهِّر نفسك من المعاصي وادعُ إلىٰ ذٰلك، وطهِّر ثيابك طهارة حسية لأن الله يحب النظافة، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥﴾ أي: ادعُ إلىٰ ترك عبادة الأصنام، وأمَّا النبي ﷺ فلم يسجد لصنم ولم يتمسح بصنم في أيام الجاهلية، بينما غيره يغدون



ويروحون يتمرَّغون في عبادة الأصنام إلَّا من حماه الله -تبارك وتعالىٰ- وهم أفراد، ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ يعني: لا تعطي شيئًا لتأخذ أكثر منه، ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ أي: اعتصم بالصبر الجميل علىٰ فعل الطاعة وترك المعصية، والصبر علىٰ ما أصابك من أذىٰ لتكسب الأجر الوفير وتحوز الأجر الكثير، وتأمر بذٰلك.

ثمَّ بعد ذٰلك استمر النبي ﷺ في دعوة الناس -أولٰئك المشركين-، نزل القرآن -نزل في آيات التوحيد ونبذ الشرك-، فاستمر النبي ﷺ يدعوهم إلىٰ ذٰلك، وهم يقفون في وجهه، وهو مستمر في دعوتهم إلىٰ هٰذا الأصل الأصيل، إلىٰ تحقيق توحيد الله ونبذ عبادة ما سواه، لأنَّ ما سوىٰ الله لا يستحق من العبادة شيئًا.

فاستمر علىٰ ذٰلك عشر سنين؛ بل ثلاث عشرة سنة قبل أن يهاجر، ولم تفرض فريضة إلا الصلاة بعد السنة العاشرة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، وهو يدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله -أي- يقولوا: لا إلٰه إلا الله محمَّد رسول الله.

فآمن به أفراد قلَّة وأمَّا الكثرة الكافرة فامتنعوا إباءً واستكبارًا وعصبية لما كان عليه الآباء والأجداد من الكفر الصريح والشرك الأكبر، وهو يدعوهم لينقذهم الله -تبارك وتعالىٰ- مِمَّا هم عليه من الشرك الذي هو أعظم الذنوب علىٰ الإطلاق.

فآمن به طائفة مِمَّن هدىٰ الله قلوبهم وشرح صدورهم، فآذاهم الكفَّار أبلغ الأذىٰ، وآذوا النبي ﷺ أبلغ الأذىٰ؛ ولكنَّه صبر وصابر وأمر أصحابه أن



يهاجروا لأنهم لا يستطيعون أذىٰ أولٰئك الكفار المشركين الحاقدين، هاجروا إلىٰ الحبشة لأنَّ فيها ملك لا يظلم عنده الناس -وهو: النجاشي- في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام-، حتىٰ جاء دَوْر الهجرة إلىٰ المدينة وكثر سواد المسلمين ونزلت آيات الجهاد وآيات الدعوة قبل الجهاد، فشرح الله صدور كثير من الناس، ونُظِّم الجهاد تنظيمًا شرعيًا بالسرايا والغزوات، جهاد لتكون كلمة الله هي العليا علىٰ بصيرة من دين الله -تبارك وتعالىٰ-.

والمعارك التي دارت وحصلت ليست خافية علىٰ طلَّاب العلم، غزوات متعدِّدة باشر القتال فيها النبي ﷺ بنفسه، كبدر وأحد وخيبر والأحزاب وبني قريظة وغيرها؛ ولكن كتب الله النصر لأوليائه المفلحين -محمد وصحبه-، وكتب الذل والصغار علىٰ أولٰئك المشركين المناوئين للحق بدون برهان من عقل أو شرع، فكثر سواد المسلمين من العرب والعجم والإنس والجن، وارتفعت رايات الإسلام في كل مكان، وكلمة: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله في كل بقعة من بقاع الدنيا غالبًا.

والوحي ينزل علىٰ النبي ﷺ قرآن وسنَّة في ثلاث وعشرين سنة، فاكتمل الوحي -اكتمل القرآن- الذي هو بين أيدينا، والسنَّة المطهرة كذٰلك بين أيدينا؛ ولكنَّها لا تجتمع عند شخص، غير أنه لم يفقد منها حديث واحد، وما ذٰلك إلَّا



لأنَّ الله تكفل بحفظ الذكر عمومًا ووعد بذلك في قوله الحق: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر: ٩].

فلمَّا اكتمل دين الله-أوامره، ونواهيه، وحلاله، وحرامه، وكل ما تحتاج إليه البشرية-انتقل النبي ﷺ بوفاته إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، المنزلة الرفيعة التي له عند الله-تبارك وتعالىٰ-، وقد كتب الله الموت علىٰ كل حي من مخلوقات الأرض والسماء، والنبي ﷺ أفضل المخلوقات وأرفعها قدرًا عند الله من عالم السماء والأرض.

قال الله ﷻ مخاطبًا له: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[الزمر: ٣٠-٣١].

وقال -عز وجل-: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الأنبياء: ٣٤]، كلا، لا يبقىٰ نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا من دون ذلك إلَّا يذوق الموتة الأولىٰ.

وقد اكتمل دين الله وانتشر في أرض الله، ودخل الناس فيه أفواجًا، وتلك هي الرحمة التي رحم الله-تبارك وتعالىٰ-بها هذه الأمَّة-أمَّة محمد-عليه الصلاة



والسلام-إلَّا مَن أبىٰ، لذا قال ﷺ: (أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)[٦].

هٰذا فيما يتعلق ببدء الدعوة واستمرارها إلىٰ أن انتهت النبوة بقبض النبي ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وجاء دور الخلافة الراشدة علىٰ منهاج النبوة، ولم يبدلوا تبديلًا، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أئمَّة خلفاء راشدون كل واحد منهم ألزم نفسه أن يسير علىٰ نهج النبي-عليه الصلاة والسلام-دعوةً وجهادًا وسياسةً ونصحًا للأمَّة الذين ولي أمرها من بعد نبيِّها-عليه الصلاة والسلام-خليفة بعد خليفة.

وحصل له من الأذىٰ ما لا يخفىٰ، حروب الردة في زمن أبي بكر وكان النصر حليفه، وما حصل في عهد عمر وقتل شهيدًا من أعداء الدين، وما حصل في عهد عثمان من الفكر الخارجي الذي لم ينقطع؛ بل يقوم به خبثاء بين وقت وآخر حتىٰ قتل عثمان علىٰ أيدي الخوارج، وقتل علي كذٰلك-رضي الله عنهم أجمعين-؛ ولكن راية الإسلام مرفوعة والله-تبارك وتعالىٰ-قال: ﴿... وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾[القصص:٨٣].

[٦] مسند أحمد/ ٢٠٠١٥



ولنأخذ شيئًا من الموضوع الذي هو: أخلاق النبي ﷺ:

أخلاق النبي ﷺ-كما أسلفت-لا يستطيع متحدث أو كاتب أن يوفيها حقَّها؛ لكن ألفَّ العلماء مؤلفات:

١ - منهم: مَن ألفَّ علىٰ سبيل الاستقلال في شمائل النبي ﷺ.
٢ - ومنهم: مَن ألفَّ مِن ضمن المؤلفات-كالمؤلفات الحديثية، وتفسير القرآن، وكتب العقائد-عرَّجوا كل بحسب ما استطاع-عرَّجوا علىٰ أخلاق النبي ﷺ.

فالله-تبارك وتعالىٰ-شهد لنبيه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤]، إنَّك يا محمد لعلىٰ خلق عظيم، لما قال الأعداء في حقِّ النبي ﷺ: (...ساحر، وكاهن، وكذَّاب، وافترىٰ علىٰ الله بما جاء به...)، كلُّ ذٰلك صيغ ذم-من أشنع الذم-أطلقوه علىٰ النبي ﷺ.

وإذا كان الله يدافع عن المؤمنين فإنَّه دافع عن إمام المؤمنين-محمد-رسول الله ﷺ فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤]، فجاء بعض أصحاب النبي ﷺ يسألون أمّ المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-عن خُلق رسول الله-عليه الصلاة والسلام-فقالت: (كَان خُلقُه الُقرآن)[٧].

[٧] صحيح الجامع/ ٤٨١١



بجملة واحدة بيَّنت بأنَّ المراد بِخُلق النبي ﷺ القرآن، أي: إنَّه يأتمر بأوامر القرآن، وينتهي بنواهيه، ويُحل حلاله، ويُحرِّم حرامه، ويرغِّب فيما رغَّب فيه، ويرهِّب فيما رهَّب منه، ويسير على نهج القرآن في كل باب من أبواب العلم والعمل.

وفي ذٰلك دعوة لأمَّة محمد ﷺ أن يتخلَّقوا بأخلاق القرآن، ويتأدَّبوا بآداب القرآن، تأسيًا بالنبي الكريم-عليه الصلاة والسلام-في فعله في أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة، لأنَّه يدعو إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم.

وصفه الله بأنواع مِن الأخلاق الزكيَّة التي ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يتَّصفوا بها، وصفه الله ﷻ بالصدق، والصدق كما قال فيه-عليه الصلاة والسلام-: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا...)[٨].

فهو من الأخلاق العظيمة، لذا قال ﷺ: (...ثُمَّ لَا تَجِدُونِي جَبَانًا، وَلَا بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا)[٩].

[٨] صحيح الجامع/ ٤٠٧١

[٩] المعجم الأوسط/ ٧٣٧٦



ومن أخلاقه الرحمة بالمؤمنين، والشفقة عليهم، نعته الله بذٰلك في قوله الحق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨]، وهٰذه من أعظم الأخلاق التي ينبغي أن يحرص عليها كل مؤمن ومؤمنة، أن يكون صاحب رحمة، ولين جانب وشفقة علىٰ إخوانه المؤمنين.

كذٰلك من أخلاقه: التواضع، فهو ليِّن الجانب يتواضع لعباد الله ويحرص علىٰ هدايتهم، حتىٰ إنَّ المرأة التي لها حاجة يمشي معها حتىٰ تقضىٰ حاجتها، وهٰذا من تواضعه-عليه الصلاة والسلام-لأمته.

وهكذا حاله مع أصحابه يزور مريضهم، ويجيب دعوتهم، ويواسي فقيرهم، ويسأل عمَّن غاب منهم، وهٰذا عين التواضع، فيجب علىٰ أمَّته أن يتأسوا به في التواضع الشرعي لينالوا رضا الله عَزَّ وَجَلَّ ويتابعوا رسول الله-عليه الصلاة والسلام- فيطيعوه، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله.

ومن أخلاقه: الوفاء بالعهود وعدم الغدر والنكث؛ بل يوفِّي بالعهود مهما كانت الأحوال والملابسات، فلا يغدر ولا ينقض عهدًا أبرمه؛ بل إنَّه من أهل الوفاء؛ بل إمام في الوفاء بالعهود والعقود امتثالًا لأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...﴿١﴾﴾[المائدة:١].



وقال ﷻ: ﴿...وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

ومِن أخلاقه -عليه الصلاة والسلام-: النصح للمسلمين في دعوته لهم، في دعوته للمسلمين نصحًا لهم وإخلاصًا لله ﷻ ورحمة بهم، امتثالًا لأمر الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ...﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

فكان يدعو طيلة حياته الإنسانية من يوم أرسله الله بالمدثر إلىٰ أن انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وهو يدعو إلىٰ الله علىٰ نور من الله ﷻ علىٰ بصيرة من الكتاب والسنة.

وما فسَّرت به أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- خُلق النبي ﷺ عندما سئلت، فسَّرت أخلاق الرسول بجملة واحدة: (كَان خُلقُه الْقرآن)[١٠]، جملة شاملة لجميع أخلاق النبي ﷺ، فكان عمله بالكتاب العزيز والسنة المطهرة في كل باب من أبواب العلم والعمل أقوال وأفعال ظاهرة وباطنة.

[١٠] سبق تخريجه ص: ١٢



وهكذا يجب علىٰ الأمَّة أن يعملوا بكتاب ربهم وصحيح سنة نبيهم -عليه الصلاة والسلام-، ويبذلوا جهودهم في التفقُّه في الآيات -آيات الكتاب العزيز- وأحاديث السنة المطهرة.

وفي الختام: فإنَّ للنبي ﷺ حقًّا علىٰ أمَّته، وله حق علىٰ أمَّته.

فأمَّا الحق الذي للأمَّة علىٰ النبي ﷺ وسلم فقد وفاه، لأمَّته عليه حق، وله علىٰ أمَّته حق، فأمَّا الحق الذي لأمَّته عليه فقد وفَّاه وشهد الله له بذٰلك في قوله عَجَّلَ: ﴿...إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ... ﴿٤٨﴾﴾[الشورى:٤٨]، ﴿...وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤]، فقد بلَّغ البلاغ المبين، وأعلن ذٰلك صريحًا في حجة الوداع، في أكبر جمع وقف فيه النبي ﷺ وخطب في الأمَّة وقال لهم: (هل بلغت؟، قالوا: نعم لقد بلغت ونصحت. فأخذ يرفع أصبعه وينكثها إلىٰ الأرض ويقول: اللهم اشهد ثلاثا)[11].

وأمَّا الأمَّة فمن وفَّقه الله -تبارك وتعالىٰ- للاعتصام بهدي النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- فقد قام بالحق الذي عليه، لا يستطيع أن يأتي به كاملًا؛ ولكن علىٰ سبيل سدِّدوا وقاربوا وأبشروا.

[11] يشير الشيخ -حفظه الله- إلى حديث أبي بكرة في صحيح البخاري/ ٤٤٠٦



فأمَّا الصحابة الكرام فإنهم قاموا بالحقِّ الذي عليهم، منهم من قضىٰ نحبه في معارك القتال، ومنهم من مات وهو ناشر للعلم وباذل للأحاديث تروىٰ عنه، فهم علىٰ جانب عظيم من الخير، شهد لهم نبيهم ﷺ بقوله: (خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[12].

ومَن بعدهم وتأسىٰ بهم وسدَّد وقارب فهنيئًا له، أحبهم ومشىٰ علىٰ أثرهم وعمل بعملهم في تعاليم الإسلام ومات علىٰ الإسلام والسنة فهنيئًا له، فقد قال النبي ﷺ: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[13]، وكل من جاء بعد النبي ﷺ وصحابته وأحبَّهم وعمل بعملهم فإنَّه يحشر في زمرتهم.

فالواجب علينا: أن نستيقظ وأن نسأل عن هدي النبي ﷺ في أداء الفرائض، وأداء الواجبات، وترك الحرمات، والرغبة في الخيرات في المندوبات والمستحبات والوسائل التي تقرِّبنا إلىٰ الله زلفىٰ، نحرص علىٰ ذٰلك فالأجل قريب والقدوم علىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- إنَّمَا هو بالعمل لا بالمال ولا بالولد ولا بالجاه وإنَّمَا هو بالعمل، فإن كان صالحًا فهنيئًا لأصحابه، وإن كان غير ذٰلك ﴿... وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[النحل:٣٣].

[12] صحيح البخاري/ ٢٦٥١

[13] صحيح البخاري/ ٦١٦٨



والدليل علىٰ القيام بحقِّ النبي ﷺ بعد وفاته: الاعتصام بسنته والالتزام بها والبحث عنها، كيف كان هديه في الفرائض؟، في الواجبات؟، في المندوبات؟، في النواهي؟، في الدعوة إلىٰ الله؟، في الجهاد في سبيل الله؟، والعمل بعلم في ذٰلك.

هٰذا دليل علىٰ محبة النبي ﷺ، إذ أنَّ محبته يجب أن تكون فوق محبَّة النفس والوالد والولد والناس أجمعين، ومحبَّة سنته دليل علىٰ محبته، وقد قال الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في حق النبي ﷺ قال: (...طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ...)[١٤].

ونقتصر علىٰ هٰذا القدر، ونسأل الله –تبارك وتعالىٰ– أن يوفقنا جميعًا لمتابعة نبيه ﷺ في قوله وفعله الظاهر والباطن، وأن يرزقنا محبَّته إنَّ الله علىٰ كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه.

[١٤] ثلاثة الأصول



أسئلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

❖ **السؤال الأول**:

نريد من فضيلتكم توجيه نصيحة للمعلمين توضحون فيها الأخلاق التي يجب أن يتحلىٰ بها معلم النشأ المسلم، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

هٰذا الجواب علىٰ هٰذا السؤال يستدعي محاضرة، وأنا ولله الحمد قد كتبت في هٰذا الموضوع رسالة اسمها (**الأجوبة المختصرة علىٰ الأسئلة العشرة**) وأول سؤال ما هي الصفات التي ينبغي أن يتحلىٰ بها المعلم، وذكرتها تقريبًا في ستة عشر صفة.

أولها: الإخلاص في العمل.

والثاني: الجد والاجتهاد في حفظ الدوام علىٰ العمل وعدم بخسه.

والثالثة: محاولة الإجادة والنفع لطلاب العلم الذين يتلقون العلم عن المعلم، والرسالة تباع في السوق وطلاب العلم يشترونها إن كانوا حريصين عليها.



❖ السؤال الثاني:

هل مات ورقة بن نوفل وهو مؤمن؟.

الجواب:

نعم، مات ورقة بن نوفل قبل -طبعًا قبل- أن تبلغه الدعوة، إلَّا ما حصل له من قصِّ بدأ النبوة؛ ولكنه عزم على الإيمان بمحمد ﷺ وقال: (...وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا...)[١٥]، ورئي له رؤيا حسنة وهو من أهل الإيمان وفي الجنة.

❖ السؤال الثالث:

كيف تكون محبة النبي ﷺ؟.

الجواب:

تكون محبة النبي ﷺ بمتابعته في هديه علمًا وعملًا، ومحبة شخصه الكريم، لأنَّ الله أنقذ الأمَّة برسالته، فصبر وصابر وجاهد حتى ارتفعت راية الإسلام وانتشر دين الله في أرض الله بفضل الله، ثمَّ بسبب رسالة النبي ﷺ.

[١٥] صحيح البخاري/ ٣



لذا وجبت محبته فوق محبة النفس والوالد والولد، وقد قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ وهو يمشي معه قال له: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي)[١٦]، وهم أهل الصدق لا يكذبون، فالشاهد من هٰذا أنَّ عنوان المحبة للرسول متابعته في هديه جملةً وتفصيلًا.

❖ السؤال الرابع:

فضيلة الشيخ، ما حكم ما يقام في بعض البلدان من الحفلات والضيافات والذبائح في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول؟.

الجواب:

هٰذا الذي يسمَّىٰ بالمولد ابتلي به كثير من بلدان المسلمين بسبب مَن قلَّ نصيبهم من العلم، من أهل التصوُّف والقبوريين، فالمولد بدعة من البدع بين حكمها أئمة العلم المعروفين بالاعتصام بالسنة، فكتب في هٰذا الموضوع الشيخ عبد العزيز بن باز كتابة عظيمة في فتاواه، وبيَّن بأن هٰذه البدعة تجمع بدعًا يحصل فيها الاختلاط ويحصل فيها الكذب علىٰ النبي ﷺ بأنَّه حضر حفلهم واجتماعهم

[١٦] صحيح البخاري/ ٦٦٣٢



وهٰذا من الباطل، فالواجب الحذر منها ومن اعتقاد صواب أهلها أو صحة أفعالهم.

❖ السؤال الخامس:

سمعنا بعض المشايخ ينهون عن زيارة قبر الرسول ﷺ بعد فريضة الحج، فما الحكمة من ذٰلك؟.

الجواب:

الحكمة من ذٰلك أنَّ فيه ناسًا يعتقدون أنَّه لا يتم الحج حتىٰ يزور الحاج قبر النبيٰ ﷺ وهذا خطأ باطل؛ بل لا علاقة للزيارة للقبر أو المسجد لا علاقة بينها وبين الحج، الحج ركن من أركان الإسلام، وأمَّا زيارة قبر النبي -عليه الصلاة والسلام- فإنها لا تكون إلا تبعًا لزيارة المسجد النبوي الذي قال في حقه النبي ﷺ: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَام، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[١٧]، فإذا رحل المسلم إلىٰ المسجد النبوي زائرًا فهي زيارة مشروعة، ومن ثمة يذهب ويسلم علىٰ النبي ﷺ وصاحبيه، هٰذا هو الحق.

أمَّا الذهاب والرحلة لزيارة القبر فهٰذا لا يشرع، ولا يحبه نبيه نبينا ﷺ أبدًا.

---

[١٧] صحيح مسلم/ ٥١١ - (١٣٩٧)



❖ السؤال السادس:

جاء في الحديث: (...إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا...)[18]، فهل القرب يكون بعلو المنزلة؟، أو ما معنىٰ ذٰلك؟.

الجواب:

لا شك أنَّه يكون بعلو المنزلة وعِظم الثواب عند الله -تبارك وتعالىٰ- وهو قرب حقيقي.

❖ السؤال السابع:

ما هو واجبنا الحقيقي كمسلمين من الدفاع عن شخص النبي ﷺ؟.

الجواب:

الواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يخلصوا في محبة النبي ﷺ وأن يدافعوا عنه؛ ولكن في حدود الشرع، وما كل إنسان يحسن المدافعة، فعوام الناس يعتقدون أنَّ النبي ﷺ أكمل المخلوقات وأرفعها قدرًا عند الله عز وجل وخَلقًا وخُلقًا فيؤمنون به ويحبونه علىٰ هٰذا الأساس.

[18] سنن الترمذي/ ٢٠١٨



وأمَّا الرد علىٰ الطغاة الملحدين الذين يتنقَّصون شخص الرسول-عليه الصلاة والسلام-فإنَّه لا يستطيع عليه إلَّا العلماء-أهل البصيرة-بأدلَّة الكتاب والسنَّة فهم الذين يتولون الردود بالكتابات والتأليف والمحاضرات والبيانات.

❖ السؤال الثامن:

هل يشرع للإنسان أن ينفث في يديه بعد قراءة الرقىٰ في أوقات غير النوم؟.

الجواب:

في أوقات النوم وارد قراءة المعوذتين ثلاث مرات وينفث في كفيه ويمسح جسده ما تمكن من جسده، وما عدا ذٰلك فالنفث مشروع، النفث علىٰ المكان الذي يؤلم الإنسان إن كان في ماء رقىٰ في ماء-نفث في الماء-وإن كان رقىٰ علىٰ المريض مباشرة نفث علىٰ المريض مباشرة ولا حرج فالنفث مشروع.

❖ السؤال التاسع:

ما هو الحكم في العلاج بالأدوية الشعبية في حالات السحر والمس والعين؟.



الجواب:

الأدوية الشعبية توسع الناس فيها حتىٰ دخلت فيها الشعوذة والذي لا يجوز، فأخذ العقاقير الطبية كما يذكر المختصون أصلها من الأشجار ومن العشب ومن...؛ لكن ما كل إنسان يحسن هٰذا!، فما كان عن دراسة صحيحة يقبل، وما كان من تقاليد فيخشىٰ أن يضر ولا ينفع، غير أنه لا يجوز للإنسان أن يذهب بحكم العلاج الشعبي إلىٰ السحرة وإلىٰ الكهنة والمشعوذين فيقع في الحرج والإثم.

❖ **السؤال العاشر**:

ما هو أحسن الكتب في السيرة النبوية؟.

الجواب:

أسهل الكتب (مختصر السيرة/ للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، وكتاب اسمه (السيرة النبوية علىٰ طريقة السنة الصحيحة) يباع في مجلدين و (سيرة ابن هشام) و (الرحيق المختوم)، وبعد ذٰلك يأتي دور المطولات كـ (البداية والنهاية) والله أعلم.

هٰذا وصلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



من إصدارات شبكة الإمام الآجري لعام ١٤٣٤ للهجرة النبوية الشريفة

